

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّة

وَقُطُوفُ

تَفْسِيرِيَّة

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّةٍ وَقُطُوفُ تَفْسِيرِيَّةٍ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تجلّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفسِّري الأمس مُعاصرين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: "كَانَ عَمْرُ بْنُ الْحَسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمَجْسطِي عَلَى عَمْرِ الْأَبْهَرِيِّ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَأُونَهُ؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أَفْسِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} فَأَنَا أَفسِرُ كَيْفِيَّةَ بِنَانِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوْعُّلًا فِي بَحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ"^١، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م^٢، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يوضّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١ فصلت: ٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ الأنعام: ٦٦ و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ يونس: ٣٩، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٣٨ و٨٧ و٨٨.

د. محمد دودح



^١ فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٥٤١٤).

^٢ موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكْلَهَا ضِعْفَيْنِ
فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ﴾ ٢ البقرة: ٢٦٥ .

الفقرة Paragraph

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ
بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ
صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا
مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ
أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ
فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ
وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾
٢ البقرة: ٢٦١-٢٦٧ .

كَلِمَاتُ إِشْرَاطِيَّةٍ keywords

﴿جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾، ﴿وَابِلٌ﴾، ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ﴾.

تَرْجَمَةٌ (تَفْسِيرِيَّةٌ) Translation

The example of those who give their money seeking for ALLAH delight out of sincere conviction; is like a garden on hummock and a cloudburst falls on it, so it doubles its yield of harvest. And if a cloudburst is not available; (even) dew is sufficient (for yielding a harvest).



لَمَحَاتُ بَيَانِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ

Eloquent & Scientific Hints

وردت الآية الكريمة في سياق جملة وصايا تتعلق بالإتفاق في سبيل الله كمثال تصاحبه ثلاثة أمثله في الموضوع؛ (الأول): يتعلق بمضاعفة الأجر كما لو أن سنبله أنتجت سبع سنابل وكل سنبله تضاعف محتواها فبلغ مائة حبة؛ فأفاد أن أقصى ما يجب أن تحتويه السنبله بحسن الفلاحة هو خمسين حبة؛ وهو كذلك بالفعل^٢: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ٢ البقرة: ٢٦١.



(والثاني): يبين أن الإتفاق رياء الناس أو برديء الثمر أو باتباعه بالمن والأذى يُضيع الأجر مع الحاجة الماسة إليه، كما لو أن أحدهم له بستان منمر وهو على وشك الرحيل وذريته ما زالوا صغاراً لا يقدرّون على كسب العيش بعد، فأصابها إعصار تضاعف تدميره بنار صاعقة أحرقت، فأضاع نفسه وذريته وفقد كل الأجر، فالتمثيل وصف الأعاصير الدوارة Hurricane التي لا وجود لها بأرض العرب وكشف تلازم الصواعق مع العواصف الرعدية Thunderbolt: ﴿يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢ البقرة: ٢٦٦، وقد أستشكل أن تُصاحب العواصف والأعاصير أية ظواهر نارية باعتبار أنها دوامات مكونة أساساً من ماء مثلج ويرد، حيث لم يُعرف إلا حديثاً أن الدور الأساس في تكوين الشرارة النارية وصدور الصاعقة الحارقة يرجع إلى البرد Hail. (الثالث) مثله: حجر صلد غشاه تراب أغرى بإمكان زراعته وجني الثمر؛ وأتاه مطر غزير أزاله فضاع الأمل ولم يبق إلا الحجر الصلد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ٢ البقرة: ٢٦٤.

أما ما كان خالصاً لله تعالى وبطيب خاطر بلا بخل وتتردد فأجره عظيم؛ كما لو أن بستاناً على مرتفع من الأرض يُنتج أحسن الثمر، ويهبط فائض الري للسهل فلا يفسده، وأتاه هطول غزير كفى حاجته فتضاعف ثمره، وإذا لم يأتته المطر كافح الجفاف وكفاه البلل والندى لينتج ثمر: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصْبِحْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢ البقرة: ٢٦٥، فالجانب المعنوي بالتمثيل هو أن المحسن يُنفق تقرباً لله مهما كانت قدرته؛ وهو تعالى يُضاعف أجره وفق نيته وقدرته، والجانب الحسي هو أن النبات يستدعي آليات تمكنه من تجنب الجفاف؛ كما أن المحسن يبذل كامل طاقته حين العوز، ولا مجال لوصول الندى إلى الجذور العميقة؛ فلم يبقَ إلا أوراق النبات لامتناس ما تجمّع عليها من قطرات الماء.

^٢ الموسوعة العالمية ويكيبيديا؛ القمح.



ومن المعاني الضمنية؛ أن المال عطاء رباني كالماء، والربوة رفعة عما يدبّس الزرع المُقابل في التمثيل للحسنات، والتمثيل بالربوة المرتفعة عن سطح الأرض إحكام في البيان لأنها استبعدت دور المياه الجوفية في إمداد النبات بالماء، وفي حالة ندرة المطر والرّخات غير الكافية أو امتناعه؛ لم يبقَ سوى الندى المُتجمّع على الأوراق ليمد النبات بالماء.

والسحاب بخار ماء متجمع قطرات قد يرسلها مطراً، وقد تكون قطرات المطر كثيفة متتابعة وكبيرة سريعة بهيئة وابل cloudburst؛ وهي تنتج ثمر وفير، وفي الجو المشبع ببخار الماء إذا انخفضت درجة حرارة الهواء والأجسام يتكون الضباب والندى؛ كما لو أن السحاب قد أطل بشخصه ليلامس تربة الحقل وأوراق النبات تحنّناً خشية الجفاف، وكلمة ظل إذن من دقيق التعبير وبديع التصوير في القرآن الكريم، وطيف دلالتها إذن واسع؛ يشمل المطر الخفيف ذو القطرات غير الكثيفة والبالغة الضالة بهيئة رذاذ Drizzle يبيل سطح الأرض، ويشمل الندى Dew والضباب Fog.

قال ابن فارس: "طَلَّ: الطَّاءُ وَاللَّامُ يَدُلُّ عَلَى أَصُولٍ ثَلَاثَةٍ؛ أَحَدُهَا: غَضَاضَةُ الشَّيْءِ وَنَصَارَتُهُ، وَالْآخَرُ: الْإِشْرَافُ، وَالثَّلَاثُ: إِبْطَالُ الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ الطَّلُّ: وَهُوَ أَضْعَفُ الْمَطَرِ؛ إِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُحَسِّنُ الْأَرْضَ..، وَمِنَ الْبَابِ فِي مَعْنَى الْقَلَّةِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الطَّلِّ قَوْلُهُمْ: مَا بِالنَّاقَةِ طَلٌّ أَيُّ مَا بِهَا لَبَنٌ؛ يُرَادُ وَلَا قَلِيلٌ مِنْهُ..، وَالْبَابُ الْآخَرُ: الطَّلُّ؛ وَهُوَ مَا شَخَّصَ مِنْ أَثَرِ الدِّيَارِ، يُقَالُ لِشَخْصِ الرَّجُلِ طَلَّلَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَطَلَّ عَلَى الشَّيْءِ؛ إِذَا أَشْرَفَ..، وَأَمَّا إِبْطَالُ الشَّيْءِ فَهُوَ إِطْلَالُ الدَّمَاءِ وَهُوَ إِبْطَالُهَا..؛ يُقَالُ: طَلَّ دَمُهُ.. إِذَا أَهْدَرَ"، وقال الزبيدي: "الطَّلُّ: الْمَطَرُ الضَّعِيفُ أَوْ أَخْفَى الْمَطَرِ كَمَا فِي الْمُحْكَمِ، أَوْ أَضْعَفُهُ كَمَا فِي الصَّحَاحِ، قَالَ الرَّاعِبُ: وَهُوَ مَالُهُ أَثَرٌ قَلِيلٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ}، أَوْ هُوَ النَّدى الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي الصَّحْوِ، أَوْ هُوَ فَوْقَهُ وَدُونَ الْمَطَرِ"، "وَطَلَّتِ الْأَرْضُ بِالضَّمِّ طَلًّا: نَزَلَ عَلَيْهَا الطَّلُّ..، وَالطَّلَّةُ: الرَّوْضَةُ بِلَهَا الطَّلُّ أَي النَّدى.. وَأَطَلَّ عَلَيْهِ أَي أَشْرَفَ.. وَحَقِيقَةُ أَطَلَّ عَلَيْهِ أَوْفَى عَلَيْهِ.. بِشَخْصِهِ.. (و) يَوْمَ طَلَّ: ذُو طَلٍّ؛ أَي رَطْبٍ، وَأَرْضٌ طَلَّةٌ وَمَطْلُوَةٌ: طَلَّهَا النَّدى.. وَالْمَطْلَلُ: الضَّبَابُ"، وفي المعجم الوسيط: "الطلُّ: المطر الخفيف يكون له أثر قليل؛ وفي التنزيل العزيز: {فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ}، والندى الذي ترسله عروق الشجر إلى غصونها"^٧.



^٤ أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٤٠٥١٣).

^٥ محمد أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١٢٩/٣٧٧).

^٦ محمد أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١٢٩/٣٧٩).

^٧ مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة (١٢/٥٦٤).



تنمو الأشجار فوق الروابي وقمم الجبال اعتماداً على المطر؛ ويمكن لبعضها الاستفادة من الرذاذ الخفيف وحتى الندى.

والضباب قطرات ماء تكونت ببلوغ الهواء درجة التكاثف، أما الندى فيتكون عندما يتكاثف بخار الماء على سطح الأرض وعلى أوراق النبات عندما تبرد ليلاً وتفقد درجة حرارتها بالإشعاع، وتبلغ البرودة نقطة التكاثف عند توفر رطوبة كافية؛ فتتكون قطرات الندى على الأجسام، وكأن سحب السماء قد أطلت إلى الأرض إطلالة لامست سطحها، ولم يُعرف إلا حديثاً أن أوراق النبات يُمكنها امتصاص الماء وحتى السماد؛ ويتحرك الماء في الاتجاه العكسي للجذور، وقد استغلت هذه الظاهرة اليوم في الري بالررش والتغذية الورقية في مناطق الاستزراع الواسعة في الأراضي الرملية.



استغلت المعرفة بأن بعض الماء يمكن أن يمتص من أسطح الزرع في الري بالررش والتغذية الورقية في مناطق الاستزراع الواسعة.

وقدرة الأوراق على امتصاص الماء قليلة بالنسبة للجذور؛ لكنها نالت مؤخرًا الاهتمام، وترجع أول إشارة إلى عام ١٩٣٨ عندما ذكر ميللر Miller ملاحظة بأن كميات معتبرة من الماء يُمكن أن تمتصها أوراق عدة أنواع من النباتات، وأن البشرة Cuticle عندما تتَرَطَّب تُصبح شبه منفذة للماء؛ مع احتمال امتصاص الماء أيضا خلال المسامات Lenticels على جذوع الأشجار، وبعض شقوق في اللحاء Bark؛ وحتى خلال الجروح الملتئمة للورقة Leaf Scars، وفي عام ١٩٥٧ درس ستون Stone كمية الندى التي يمكن أن تمتصها النباتات وأهميتها الاقتصادية في توفير الماء، وفي عام ١٩٥٥ كشف ستون وفويل Stone & Fowells أن التجارب في الدفيئة الزجاجية Greenhouse أظهرت أن الندى قد زاد من قدرة شجيرات الصنوبر على البقاء حية، وتوصل دوفديفاني Duvdevani عام ١٩٦٤ وجندل Gindel عام ١٩٧٣ إلى أن الندى ليس مهما للإبقاء على حياة بعض النباتات فقط؛ ولكنه مهم أيضا في نمو بعضها كالحشائش والأشجار الخشبية، ووجد جيندل أن أشجار الصنوبر الحلبي Aleppo Pine يُمكنها حتى أن تمتص الرطوبة Moisture من الهواء، وفي عام ١٩٧٥ وجد سودزوكي Sudzuki أن بعض الأشجار التي تنمو في صحراء تشيلي حيث كمية الأمطار لا تكاد تُذكر تستفيد من بخار الماء Water Vapor الذي تمتصه الأوراق لتبقى حية^١.



قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في المنتخب: "حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الإيمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة يفيدته كثير الماء وقليله، فإن أصابه مطر غزير أثمر مثلين، وإن لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكفى لإثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مثمر في الحالتين، فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم، والله لا يخفى عليه شئ من أعمالكم"^٩، قال الماوردي: "**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**.. الموضع المرتفع من الأرض..، **أَصَابَهَا وَابِلٌ**.. المطر الشديد.. الكثير..، **فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ**؛ وإنما خص الربوة لأن نبتها أحسن وريعها أكثر..، والأكل بالضم: الطعام لأن من شأنه أن يؤكل، ومعنى ضعفين: مثلين؛ لأن ضعف الشيء مثله زانداً عليه (أي هو ومثله معه)..، **فَإِنْ لَمْ يُصَبَّهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**؛ الطل: الندى؛ وهو دون المطر..، وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً، وفيه وإن قل تماسكٌ ونفعٌ، فأراد بهذا ضرب المثل: أن كثير البر مثل زرع المطر كثير النفع، وقليل البر مثل زرع الطل قليل النفع، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل كثيره، كما لا تدع زرع الطل إذا لم تقدر على زرع المطر"^{١٠}، وقال الراغب الأصفهاني: "يقال لكل ما زاد وعلا ربا؛ ومنه الربا، والطل.. الندى، وطلت الأرض أصابها طل..، وبين تعالى أن المنفق ماله.. ينبغي أن يكون قاصداً به.. ابتغاء مرضاة الله.. بتثبيت النفس أي رياضتها لأداء الأمانات وبذل المعونات..، فإن النفوس ما لم ترض لم تسمح؛ إذ هي مجبولة على الشح..، وببذل الصدقة وفعل الخير يتطهر (الإنسان) ويتزكى؛ ولهذا قال: **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**..، وبين أن مثل نفوس المنفقين أموالهم على هذا الوجه كمثل روضة بريرة فشبها نفوسهم بالروضة وما يأتيهم من التوفيق والهداية من جهة الله بسبب الإنفاق بما يأتي الروضة من الوابل والطل، وشبه تزكية النفوس بزكاة الأكل..، وتخصيص الربوة لأن تأثير الشمس فيها أكثر"^{١١}.

وفي التفسير الوسيط: "**إِبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**؛ طلباً لرضا الله سبحانه، **وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**؛ أي وتثبيتاً للبدل والإنفاق في أنفسهم، حتى يكون ذلك عادة..، **جَنَّةٍ**؛ الجنة البستان، **بِرَبْوَةٍ**؛ الربوة المكان المرتفع عن الأرض، **فَأَتَتْ أَكْلَهَا**؛ أعطت مأكولها وثمرها، **ضَعْفَيْنِ**؛ مثلين؛ أي مثلي ما كان يعهد منها، أو مثلي ما يعطيه غيرها عادة، **وَابِلٌ**؛ مطر عظيم القطر، **فَطَلٌّ**؛ مطر خفيف صغير القطر وهو الرذاذ..، (والمثل) بيان جزاء الإنفاق في سبيل الله، ومعناه: ومثل إنفاق المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في وجوه البر طلباً لمرضاة الله تعالى وتثبيتاً للبدل من أنفسهم؛ حتى يصبح الإنفاق في سبيل الله عادة لنفوسهم وطبيعة فطرية لها، فلا يترددوا في وضع صدقاتهم في مواضعها الجديرة بها كلما دعا داع إلى ذلك؛ مثل هذا الإنفاق كمثل بستان بمررت من الأرض، تجود فيه الأشجار وتزكو الثمار؛ أنعم الله عليه بالماء الغزير فزاد ذلك في خصبه وضاعف من ثماره، فأعطى أصحابه من الثمار ضعفين لطيب تربته وغزارة مائه..، **فَإِنْ لَمْ يُصَبَّهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**؛ فزاد ذلك يكفيها لتجود بثمرها، فهي في كلتا الحالتين مثمرة نافعة، وهذا مثل ضربه الله تعالى للطائعين المنفقين في سبيل الله بحسب نياتهم ونفقاتهم، فكلما حسنت نياتهم وزاد بذلهم في نفقاتهم في سبيل الله؛ تضاعف ثوابهم كما يتضاعف ثمر البستان المرتفع الطيب التربة الغزير المطر، وإن حسنت نياتهم وقلَّ بذلهم وإنفاقهم في سبيل الله..؛ أثبوا كذلك على قدر بذلهم ونياتهم، كما يثمر البستان المرتفع الخصب الذي يصبه الطل ويسقى نباته المطر القليل، قال الألوسي: وخلاصة هذا التشبيه أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله، لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يوازنها من الإخلاص والتعب وحب المال والإيصال إلى الأحوج التقى وغير ذلك..، **وَأَلَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**؛ للإيدان بأنه مطلع على أعمالهم، فيعلم قلتها وكثرتها، وإخلاصهم فيها إن أخلصوا ودرجة هذا الإخلاص، ويعلم رياءهم فيها إن لم يخلصوا ودرجة هذا الرياء، وأنه يجازي كلًّا على حسب حاله، ففي هذه الجملة: ترغيب للمنفقين في الإخلاص ووعد للمرائين وتحذير لهم من عاقبة الرياء"^{١٢}.

^٩ لجنة من علماء الأزهر؛ المنتخب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (١١/٦٣).

^{١٠} الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١/٣٤٠).

^{١١} الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسبوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١/٥٥٧).

^{١٢} مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م (١١/٤٥٥).

وقال ابن عاشور: "عُطِفَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ عَلَى مَثَلِ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ؛ لِرِزَادَةِ بَيَانِ مَا بَيْنَ الْمُرْتَبَتَيْنِ مِنَ الْبُؤْسِ، وَتَأَكِيدًا لِلتَّنَائِي عَلَى الْمُتَّفِقِينَ بِإِخْلَاصٍ، وَتَفَنُّنًا فِي التَّمَثِيلِ، فَإِنَّهُ قَدْ مَثَّلَهُ فِيمَا سَلَفَ بِحَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ..، فَلَمَّا مَثَلَ حَالَ الْمُتَّفِقِ رِئَاءَ..، أَعِيدَ تَمَثِيلُ حَالَ الْمُتَّفِقِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ فِي حُسْنِ التَّخِيلِ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُبْهَجُ السَّمَاعَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ تَرْكِيبًا.. وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَقَاصِدِ التَّشْبِيهِ..، (ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيَتًا).. أَيُّ مُبْتَغِينَ مَرْضَاةِ اللَّهِ..، وَ(التَّثْبِيَتُ) تَحْقِيقُ الشَّيْءِ وَتَرْسِيخُهُ؛ وَهُوَ تَمَثِيلٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِكَيْبِحِ النَّفْسِ عَنِ التَّشَكُّكِ وَالتَّرَدُّدِ، أَيُّ أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ التَّرَدُّدِ فِي الْإِنْفَاقِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَلَا يَتْرَكُونَ مَجَالَ لِحَوَاطِرِ الشَّخْ؛ وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ ثَبَتَ قَدَمُهُ أَيُّ لَمْ يَتَرَدَّدْ وَلَمْ يَنْكُصْ، فَإِنَّ إِرَاضَةَ النَّفْسِ عَلَى فِعْلٍ مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا لَهَا أَثَرٌ فِي رُسُوخِ الْأَعْمَالِ حَتَّى تَعْتَادَ الْفَضَائِلَ وَتَصِيرَ لَهَا دَيْدِنًا..، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَثْبِيَتًا تَمَثِيلًا لِلتَّصَدِيقِ أَيُّ تَصَدِيقًا لَوَعْدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصًا فِي الدِّينِ لِيُخَالَفَ حَالَ الْمُنَافِقِينَ فَإِنَّ أَمْتِثَالَ الْأَحْكَامِ الشَّاقَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ تَصَدِيقِ لِلْأَمْرِ بِهَا..، وَيَجِيءُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ فِي تَفْسِيرِ التَّثْبِيَتِ مَعْنَى أَخْلَاقِيٍّ جَلِيلٍ أَشَارَ إِلَيْهِ الْفَخْرُ؛ وَهُوَ مَا تَقَرَّرَ فِي الْحِكْمَةِ الْخُلْفِيَّةِ أَنْ تَكَرَّرَ الْأَفْعَالُ هُوَ الَّذِي يُوجِبُ حُصُولَ الْمَلَكَةِ الْفَاضِلَةِ فِي النَّفْسِ، بِحَيْثُ تَسَاقَى عَقَبَ حُصُولِهَا إِلَى الْكَمَالَاتِ بِاخْتِيَارِهَا وَبِلَا كَلْفَةٍ وَلَا ضَجْرٍ..، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَصِيرُ الْآيَةُ تَحْرِيسًا عَلَى تَكَرُّرِ الْإِنْفَاقِ، وَمَثَلُ هَذَا الْإِنْفَاقِ بِحَبَّةٍ بِرَبُوبَةٍ..، فَالهِيَاةُ الْمُشَبَّهَةُ هِيَ النَّفْقَةُ.. وَالهِيَاةُ الْمُشَبَّهَةُ بِهَا هِيَ هَيَاةُ الْجَنَّةِ الطَّيِّبَةِ الْمَكَانِ الَّتِي جَاءَهَا التَّهْتَانُ (أَمْطَارٌ مُتَكَرِّرَةٌ) فَزَكَا ثَمَرُهَا وَتَزَايَدَ.. أَوْ أَصَابَهَا طَلٌّ فَكَانَتْ دُونَ ذَلِكَ، وَالْجَنَّةُ مَكَانٌ مِنَ الْأَرْضِ دُونَ شَجَرٍ كَثِيرٍ بِحَيْثُ يُجَنُّ أَيُّ يَسْتَرُ الْكَانِينَ فِيهِ فَاسْمُهَا مُشْتَقٌّ مِنْ جَنٍّ إِذَا سَتَرَ، وَأَكْثَرُ مَا تُطْلَقُ الْجَنَّةُ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى ذَاتِ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ الْمُخْتَلَفِ الْأَصْنَافِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مَغْرُوسًا نَخِيلًا بَحْتًا فَإِنَّمَا يُسَمَّى حَائِطًا، وَالْمُشْتَهَرُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ غَيْرِ النَّخِيلِ هُوَ الْكَرْمُ وَثَمَرُهُ الْعِنَبُ أَشْهَرُ الثَّمَارِ فِي بِلَادِهِمْ بَعْدَ الثَّمَرِ، فَقَدْ كَانَ الْعَالِبُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَالطَّنَافِ، وَمِنْ ثَمَارِهِمُ الرَّمَانُ، فَإِنَّ كَانَ النَّخْلُ مَعَهَا قِيلَ لَهَا جَنَّةٌ..، هَذَا مَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ كَلَامِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ..، وَ(الرَّبُوبَةُ).. مَكَانٌ مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٌ دُونَ الْجُبَيْلِ..، وَتَخْصِيصُ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا فِي رَبُوبَةٍ لِأَنَّ أَشْجَارَ الرَّبِيِّ تَكُونُ أَحْسَنَ مَنظَرًا وَأَرْكَى ثَمَرًا؛ فَكَانَ لِهَذَا الْفَيْدِ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا قُوَّةٌ وَجْهَ الشَّبَهَةِ كَمَا أَفَادَهُ قَوْلُ الضَّعْفَيْنِ، وَالثَّانِيَةُ تَحْسِينُ الْمُشَبَّهِ بِهِ الرَّاجِعِ إِلَى تَحْسِينِ الْمُشَبَّهِ فِي تَخِيلِ السَّمَاعِ، وَ(الْأَكْلُ).. هُوَ فِي الْأَصْلِ مَا يُؤْكَلُ وَشَاعَ فِي ثَمَارِ الشَّجَرِ..، وَقَوْلُهُ: (ضَعْفَيْنِ).. أَيُّ آتَتْ أَكْلَهَا مُضَاعَفًا..، وَقَوْلُهُ: (فَإِنَّ لَمْ يُصَبِّهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) أَيُّ فَإِنَّ لَمْ يُصَبِّهَا مَطَرٌ غَزِيرٌ كَفَاهَا مَطَرٌ قَلِيلٌ فَآتَتْ أَكْلَهَا دُونَ الضَّعْفَيْنِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْفَاقَ لِابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَفَاوِتٌ عَلَى تَفَاوُتِ مِقْدَارِ الْإِخْلَاصِ فِي الْإِبْتِغَاءِ وَالتَّثْبِيَتِ كَمَا تَتَفَاوَتُ أَحْوَالُ الْجَنَاتِ الرَّكِيَّةِ فِي مِقْدَارِ زَكَانِهَا؛ وَلَكِنَّهَا لَا تُخَيَّبُ صَاحِبَهَا"^{١٣}.



الحقل العلمي Scientific Field

Botany

علم النبات

Subject الموضوع

Plant's Leaf

ورقة النبات

نصوص متعلّقة Related Texts

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢ البقرة: ٢٦١ .
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٢ البقرة: ٢٦٤ .
- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ
أُكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢ البقرة: ٢٦٥ .
- ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ
الْكِبْرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾
٢ البقرة: ٢٦٦ .

